

## المكونات الرئيسية للسلوك الأخلاقي

محمد قاسم عبد الله (\*)

إن البحث في السلوك الخلقي يندرج عادة في ثلاث فئات رئيسية هي:

التفكير الأخلاقي Moral Thought، والانفعال الأخلاقي Moral Emotion، والسلوك الأخلاقي Moral Behaviour، فهذه العناصر الثلاثة ذات أهمية خاصة في بحثنا ودراستنا للسلوك الأخلاقي (\*\*)، ولكن هذه العناصر لا تمثل - من الناحية النظرية - الوحدات الواضحة للتحليل، ولا تفترض الطرق المفيدة في ربط العناصر المختلفة للعمليات البنائية المتنوعة المكونة للسلوك الأخلاقي. وبغض النظر عن هذه العناصر الثلاثة، فإن العمليات البنائية المكونة للسلوك الأخلاقي يمكن وضعها في أربعة مكونات رئيسية هي:

1 - تفسير الموقف Interpret the situation وتحديد المسألة الأخلاقية، (ويدخل فيها التعاطف الوجداني Empathy، ولعب الدور وكيفية تأثر الأفراد المشارك كل منهم بأفعال وسلوكيات الآخر).

2 - فهم واكتشاف ما يجب على الفرد فعله، ووضع خطة التصرف والفعل بحيث يمكن من خلالها تطبيق النموذج والسلوك الخلقي المثالي (ويدخل فيه الحس والمشروع - والعدل، والحكم الخلقي، وتطبيق المعايير الأخلاقية والاجتماعية).

3 - تقويم سير الفعل الأخلاقي لتبيان الطريقة التي تساعد في إطلاق أحكام قيم، وتقدير ما سيحاول الفرد فعله واقعياً (ويدخل فيه، عملية اتخاذ القرار، ونماذج تكامل القيم Values Integrity - والعمليات الدناعية أيضاً).

(\*) عضو الجمعية الأوروبية لعلم نفس الشخصية، مدرس الصحة النفسية - كلية الآداب - جامعة حلب.

(\*\*) تعتمد هذه الدراسة على النموذج الذي وضعه Rest والمنشور في كتاب Morality, Moral behavior لمؤلفه Gewirtz Kurtines، منشورات جون وايلي (Wiley) عام (1984).

4 - تنفيذ وتطبيق خطة الفعل الأخلاقي والسلوك (ويدخل فيها قوة الأنا Ego-Strength، وكذلك عمليات تنظيم الذات).

إن وجود مثل هذه الأبحاث في ميدان السلوك الأخلاقي، يمكن تنظيمها وفقاً لإطار أو خلفية تضم واحداً أو أكثر من هذه المكونات والعناصر، إن الوظيفة الرئيسية في كل هذه المكونات الأربعة تعتبر ضرورية ولازمة للسلوك الأخلاقي، وبما أن هناك أساساً منطقياً لهذه المكونات وهي مترابطة أيضاً فيما بينها، لذلك يتم افتراضها كنموذج اتخاذ قرار خطي أو مستقيم.

لا توجد اتجاهات نظرية عامة وأساسية يمكن أن تقدم لنا نظرة موسعة ودقيقة للسلوك الأخلاقي، كما لا يوجد واحد من أي من الاتجاهات الرئيسية التالية في علم النفس - يقدم لنا نظرة شاملة ودقيقة للسلوك الأخلاقي: كنظرية النمو الأخلاقي Moral-Developmental، ونظرية التعلم الاجتماعي Social Learning، والتحليل النفسي Psychoanalysis، وعلم النفس الاجتماعي، ونظرية الغيرية Altruism، والتعاطف الوجداني Empathy ونظرية معالجة المعلومات Information-Processing، نظرية اتخاذ القرار، والاتجاه البيولوجي الاجتماعي Social Biology Approach. وتحاول هذه الدراسة الإشارة إلى السبب الذي يجعل أي واحد من هذه النظريات والاتجاهات قاصراً لوحده في تفسير السلوك الأخلاقي، لأن كل واحد منها يركز على مظاهر محددة في السلوك الخلقي ويهمل المظاهر الأخرى، ولذلك يجب وضع اتجاه أقرب للشمولية بحيث يوضح أكثر المظاهر الخاصة بالسلوك الخلقي إذا لم يكن فيها جميعها، وسوف نضع الأسئلة الرئيسية التي يجب على مثل هذا الاتجاه الشمولي أن يجيب عنها، وذلك لأنها تمثل المكونات والعناصر الرئيسية للسلوك الأخلاقي في النموذج الذي نفترضه.

### السلوك، الانفعال، والمعرفيات(\*)

إن من المفيد في دراسة السلوك الأخلاقي، قسمة هذا المجال إلى العناصر السيكولوجية الثلاثة التالية: السلوك Behavior والانفعال Emotion والمعرفة أو العمليات المعرفية Cognition.

ووفقاً لذلك فإن علماء النفس السلوكيين يدرسون السلوك في حين يدرس علماء النفس المعرفي العمليات المعرفية، ويدرس علماء التحليل النفسي الانفعال. إن الآليات النفسية المتنوعة التي تغطي هذه الجوانب الثلاثة في الفعل الأخلاقي هي:

أن الإشراف Conditioning والنمذجة أو القدوة Modeling تغطي السلوك، وأن التنافر أو الصراع المعرفي Cognitive Conflict والتوازن المعرفي يغطي التفكير والعمليات

(\*) المعرفيات Cognitions، والمقصود بها العمليات المعرفية أو العقلية التي يستخدمها الشخص مثل: الإدراك، والتذكر، والتجريد، والتعميم ومعالجة المعلومات واختزالها.

المعرفية العقلية، في حين أن الطاقة النفسية والليبيدو والأنا الأعلى Super-Ego تغطي المشاعر والانفعالات.

إن من المشروع لمثل هذه النظرة التحليلية للسلوك الخلقي أن تتبع كيفية ترابط هذه العناصر السيكولوجية الثلاثة: السلوك والانفعال والمعرفة وكيفية تفاعلها مع بعض، نموذجياً فإن بعض البحوث التي ربطت الانفعال الأخلاقي مع بعض مقاييس المعرفة الأخلاقية، قد أوجدت ترابطاً ضعيفاً، وعلاقة من مستوى متدنٍ، وتوصلت إلى أن الانفعال أو المشاعر مستقلة عن العمليات المعرفية والسلوك، مما أدى إلى اعتبار هذه العناصر الثلاثة مستقلة فيما بينها (Isard C., Karon J. and Sajonc 1984).

إننا نفترض وجود عناصر وأشكال أخرى غير هذه العناصر السيكولوجية الثلاثة، وبذلك فإننا سننظر إلى الشخص نفسه وهو يتصرف تصرفاً أخلاقياً في بعض المواقف، إن هذه البداية تتضمن أننا مهتمون بشكل أساسي، بالسلوك الأخلاقي ودوافعه وهذا ما يتفق عليه علماء النفس السلوكيون الذين ينظرون إلى علم النفس باعتباره دراسة للسلوك الفعلي في العالم الواقعي، بحيث إن أحداثاً يمكن ملاحظتها، هي التي تؤثر في أحداث أخرى في عالم الشخص وحياته الواقعية. إن العمليات الذاتية أو الشخصية التي لا يمكن ملاحظتها ليست موضع اهتمام، إنها قد تقول لنا شيئاً عن الحياة الضمنية للشخص، ولكن إذا لم تؤثر في السلوك، وتبدو آثارها في السلوك الفعلي، فإنها تكون موضع اهتمام ثانوي. وفي الوقت نفسه يشدد السلوكيون على الاهتمام بالسلوك الأخلاقي باعتباره يحدث في محيط أو سياق الحياة الواقعية والمواقف، إننا نتفق على ذلك، ولكن مع الاهتمام بالعمليات المعرفية والعقلية الداخلية التي تدفعنا إلى القيام بمثل هذا السلوك، فبدون معرفة هذه العمليات التي تدفع للسلوك الأخلاقي وحده، لا يمكننا أن نطلق عليه سلوكاً «أخلاقياً» ولا يمكننا معرفة كيفية تعميمه إلى مواقف جديدة لاحقة. إن مثل هذا الاهتمام والتركيز الشمولي على العمليات الداخلية التي تدفع للسلوك الأخلاقي، إضافة إلى السلوك الخارجي الملحوظ، ليس موضع اهتمام أكاديمي وبحثي فقط، ولكنه ضروري من أجل فهم السلوك الأخلاقي والتنبؤ به، وبذلك يكون ذا أهمية عملية ونظرية معاً.

يمكننا تأمل المعلومات التي يهتم بها الجهاز القانوني، فهذا الجهاز، واحد من أكثر المؤسسات العملية التي تتعامل مع السلوك الإنساني، وإن الفرد موضع اهتمام هذا الجهاز لأن الفرد قد يقوم بالاعتداء على فرد آخر، ولكن ما الذي يريد القانون معرفته حول هذا الشخص وسلوكه؟

إن القانون يريد معرفة الظروف والسياسات الذي حدث فيها الاعتداء أو الجريمة، وكذلك الدوافع الداخلية والعمليات الضخمة التي أدت إليها، مثلاً هل يحدث الاعتداء والقتل أثناء السطو مثلاً، أو سرقة بنك أم أثناء الصيد؟ وهل كان القاتل في حالة سكر (مخموراً) أم تحت تأثير التنويم المغناطيسي، أم كان في حالة اختلال عقلي؟ وهل

الضحية كان في حالة سطو أيضاً أم أن الاثنين (الطرفين) كانا يعيشان علاقة عاطفية؟

إن كل هذه العوامل ذات أهمية خاصة للقانون من أجل فهم السلوك وتقرير ما إذا كان الشخص في حالة دفاع، وهل يستوجب العقاب أم لا، وبتقرير ما إذا كان خطراً على المجتمع أم أنه بطل، فإذا نظرنا إلى تكرار القتل وتنوع أشكاله من قبل الشخص نفسه، فإننا لا نميز بين رجل المافيا القاتل عن بطل الحرب؛ باختصار، نقول إن القانون، أو الجهاز القانوني، يهتم بالظروف والسياق، وبالعمليات الداخلية أو الدوافع التي دفعت لمثل هذا السلوك والقيام به، وكذلك الأمر في علم النفس، فإن على العالم أن يهتم أيضاً بالظروف والسياق Context، والعمليات الداخلية أو الدوافع Motives التي تدفع لممارسة السلوك الأخلاقي.

والآن، ما هي هذه العمليات الداخلية؟ وماذا يجب علينا أن نفترض بالنسبة إلى الشخص الذي يتصرف تصرفاً أخلاقياً؟ سنبين أن هناك أربعة مكونات (عمليات Processes) رئيسة على الأقل، وهي موضحة في الجدول (1) وهذه المكونات هي:

(1) تفسير السلوك، لمعرفة الأفعال والتصرفات الممكنة أو التي يمكن للشخص القيام بها ويسلكها، ومعرفة كيف يؤثر كل فعل أو سلوك في العناصر أو الأجزاء الأخرى، المرتبطة به وضمنها عناصر الموقف والمحيط أيضاً..

(2) فهم أو اكتشاف ما يجب على الشخص فعله مطبقاً للمثل والمبادئ الأخلاقية في الموقف، وذلك لتحديد السياق الأخلاقي للفعل.

(3) تمييز القيم الأخلاقية عن القيم غير الأخلاقية لتقرير ما يجب أن يتوجّه إليه هذا الشخص.

(4) تنفيذ أو تطبيق ما يقصد Intend الشخص فعله وما يتوجّه للقيام به. ويعني هذا بلوغ الأهداف عملياً.

وقبل أن نبدأ بشرح هذه المكونات أو العمليات بشيء من التفصيل، تجدر الإشارة إلى النموذج الذي نعتمده أو وجهة النظر، وهي أننا نرفض النظر إلى السلوك الأخلاقي على أنه ناتج عن عملية واحدة Single Process (أو مكون واحد Single Component) فقط - لأن النظريات ذات المتغير الفردي الواحد في دراسة السلوك الأخلاقي تشبه النظريات ذات المتغير الفردي والواحد في دراسة الشخصية، كلاهما يتعذر الدفاع عنه، وكلاهما يركز على جانب ويهمل جوانب أخرى. فشحسان يتشابهان في عملية أو مكون واحد، ليس بالضرورة متشابهين في العمليات أو المكونات الأخرى إطلاقاً. إن الانحراف في عملية أو مكون ما قد ينتج عنه فشل أخلاقي، أو فشل في القيام بسلوك يوصف بأنه أخلاقي، ومع أن عملية واحدة تتفاعل مع عملية أخرى (تتأثر بها وتؤثر فيها) باعتبار أن المكونات متفاعلة، فإن من الضروري تمييزها عن بعضها لأن كلاً منها له وظائفه المختلفة تماماً، ولكنها جميعها ضرورية لتشكيل السلوك الأخلاقي.

## الجدول (1) العمليات (المكونات) الداخلية للسلوك الأخلاقي

### المكون الأول

الوظائف الرئيسية للعملية أو للمكون: تفسير الموقف في ضوء الأثر والنتائج التي يحدثها سلوك الفرد وأفعاله في خير الآخرين وسعادتهم.

البحث النموذجي الذي يمثل هذا المكون: الدراسة التي قام بها ستوب (1978) Staub وسكوارتز Schwartz (1977) عن الاستجابة للطوارئ، إضافة إلى دراسة هوفمان Hoffman عن النمو المعرفي الاجتماعي، وعن التعاطف الوجداني.

التفاعلات المعرفية الانفعالية: أطر مرجعية توضح كيف يتأثر الآخرون ويتعاطفون وكيف يتقون ببعضهم البعض.

### المكون الثاني

الوظائف الرئيسية للمكون: تشكيل السياق الذي يجب أن يأخذه الفعل الأخلاقي، وتحديد المثل الأخلاقية الخاصة بكل موقف.

البحث النموذجي الذي يمثل هذا المكون: النمو المعرفي عند جان بياجيه وكوهلبرج، إضافة إلى المعايير الاجتماعية عند كل من بيركوتز Berkowitz وسكوارتز Schwartz (1977).

التفاعلات المعرفية - الانفعالية: المظاهر المنطقية المجردة والمظاهر الموقفية والقيمية المتضمنة في منظومات المعاني الأخلاقية، إضافة إلى المثل الأخلاقية المتضمنة في العناصر المعرفية والوجدانية والانفعالية.

### المكون الثالث

الوظائف الرئيسية للمكون: اختيار المثل من بين مجموعة القيم، والتي يجب اتباعها عملياً، وتقرير ما إذا كان يجب إنجازها.

البحث النموذجي الذي يمثل: نموذج اتخاذ القرار وعوامله عند بومزال وجاكارد Pomzal, Jaccard وعند ليرنر.

التفاعلات المعرفية - الانفعالية: الحكم النهائي على الوحدات الخاصة بالأهداف المختلفة - المزاج وأثره بالسلوك، تشويه المدركات، التعاطف الوجداني، والفهم الاجتماعي الذي يدفع لاختيار الأهداف.

### المكون الرابع

الوظائف الرئيسية للمكون: تنفيذ وإنجاز ما يريد المرء وما يقصده من أهداف.

البحث النموذجي الذي يمثل: قوة الأنا - وتنظيم الذات عند ميشيل Mischel (1976).

التفاعلات المعرفية - الانفعالية: استمرار المهمات كما تأثرت بالانفعال المعرفي لبلوغ الأهداف.

والأمر الثاني الذي سنوضحه هو أن هذه المكونات أو العمليات الأربع المشكّلة للسلوك الأخلاقي ليست سمات عامة General Trait لكل الناس. إن تقويم كيفية تفسير الشخص لموقف محدد لا يجعلنا ننظر إلى هذا الشخص على أنه يفسّر كل المواقف

بأساليب محددة نوعية أيضاً.

إن المكونات الأربعة لا تمثل أربع فضائل للشخص النموذجي المثالي، إنها وحدات رئيسية للتحليل تبين كيف أن سياقاً محدداً للفعل يحدث في موقف معين، أو أن فعلاً ما يحدث في وضع محدد وهذا تشديد على عمليات مختلفة. وقد وضع هوجن Hogan (1975) نموذجاً ذا خمسة مكونات تشكل سمات الشخصية التالية: المعرفة الخلقية، الحكم الخلقى، التنشئة الاجتماعية، التعاطف الوجداني وأخيراً الاستقلالية. إن البحث في كل مكون، هو لتقويم الاختلافات الموقفية التي تحدث تغيرات في معالجة الشخص لكل منها.

والنقطة الثالثة التي يجب الانتباه إليها، هي أن هذا النموذج لمكونات السلوك الأخلاقي وعملياته يرتبط بالبحوث الحالية التي تعتبر إطاراً مرجعياً للعديد من الدراسات في هذا الميدان، كما أن البحوث النفسية المتعلقة بالسلوك الأخلاقي ترتبط مباشرة بهذا النموذج لأنها تقدم معلومات ضرورية ذات صلة بمكوّن أو أكثر من المكوّنات الأربعة الرئيسية للنموذج، وكما هو مبين في الجدول رقم (1) في العنصر الثاني «البحث النموذجي الذي يمثل المكوّن» إن كل مكوّن (وعملية) يمثل أسئلة توضح أي بحث أو أية نظرية تقدم لنا إجابات عنه. وبذلك فإن الأسئلة الأربعة المرتبطة بالمكونات الأربعة هي التالية:

أ - كيف يفسّر الشخص الموقف؟

ب - كيف يعرف الفعل الأخلاقي؟

ج - كيف يختار الأهداف والنتائج التي عليه اتباعها لاحقاً؟

د - كيف يمكنه تطبيق السلوك، تنفيذه عملياً للوصول إلى الغايات والنتائج؟

يجب أن نلاحظ أن هناك أكثر من اتجاه نظري يركز على نفس التساؤل، مثلاً الاتجاه المعرفي النمائي Cognitive-Developmental Approach، وكذلك اتجاه علم النفس الاجتماعي المتعلق بالمعايير الاجتماعية Social Norms، يقدمان أجوبة مختلفة عن السؤال الثاني (المكوّن الثاني)، إن هذا الإطار الشمولي يسمح لنا رؤية المظاهر المختلفة للأخلاق العملية والسلوك الخلقى، في حين يعجز اتجاه واحد بمفرده عن مثل هذه الإجابة.

والنقطة الرابعة، هي أن هناك تفاعلات معرفية - انفعالية (تفاعل بين العمليات المعرفية العقلية والانفعالية) في كل مكوّن. في الواقع إن الجوانب المعرفية والانفعالية يجب التشديد عليها، ومن الواضح في علم النفس تفاعل هذه العمليات مع بعضها. وكما أن كلّ مكوّن يتضمن عمليات معرفية مختلفة، كذلك فإن كل مكوّن يتضمن تفاعلات معرفية - انفعالية مختلفة بحيث لا يوجد نوع واحد من العلاقة، بل علاقات وتفاعلات (وقد أشرنا إلى ذلك في الجدول - انظر الجدول 1)، وكما هو الحال في التاريخ الشخصي للفرد، حيث توجد دراسات عديدة حول مثل هذه العلاقات، إلا أنها جميعها لا تدرس نفس العلاقة، مثلاً، تصف الدراسة التي قام بها هوفمان Hoffman (1977)، العلاقة

والتفاعل بين العمليات المعرفية والانفعالية في ضوء الطريقة التي تؤثر فيها تصورات الفرد ومفاهيمه عن الآخرين في عملية تعاطفه الوجداني ومعاشرته، كما أن العالم كوهلبرج قد وصف هذه العلاقة في دراسته عن الدوافع والمشاعر المتوازية مع التكوينات المعرفية، بحيث إن المعرفيات والانفعالات أو المشاعر متضمنة في المنظومة المعرفية العقلية للشخص.

باختصار إن النظر للعلاقة بين السلوك Behavior والعمليات المعرفية Cognitions والانفعال Emotion هو أن السلوك الأخلاقي تعبير أو مظهر ونتيجة لأربع عمليات داخلية ضمنية، وأن المعرفيات والانفعالات المتميزة متضمنة في كل هذه العمليات الأربع. وإذا كنا نملك معلومات عن هذه العمليات المعرفية الأربع بالنسبة لشخص ما في وقت محدد، فإننا نكون قادرين على التنبؤ بسلوكه الأخلاقي. في الواقع لا توجد الآن دراسة خُصصت لتقويم هذه العمليات المعرفية الأربع، بحيث تثبت أو تنفي مثل هذا الاتجاه الشمولي، بالرغم من وجود دراسات اتجهت إلى تقويم هذه المكونات واستطاعت التنبؤ بالسلوك الأخلاقي للفرد، ولكن من خلال النظر في مكونين فقط وليس في الأربعة وقد أجرى هذه الدراسات باريت ويارو Barrett, Yarrow (1977) وكذلك كريبس Krebs (1967).

## المكونات (العمليات) الأربعة للسلوك الأخلاقي

**المكون الأول:** ويضم تفسير الموقف، وتصور أسباب السلوك في موقف محدد وآثاره والنتائج التي يؤدي إليها في ضوء خير الآخرين وسعادتهم. وهناك أربع نتائج سيكولوجية تمّ التوصل إليها من البحوث المتعلقة بهذا المكون، وهي:

**النتيجة الأولى:** إن الكثير من الأفراد يواجهون صعوبة في تفسير المواقف - وقد بين ستوب Stoub (1978) أن السلوك يرتبط بفحص الموقف، وخاصة إذا لم يكن الشخص على معرفة واضحة بما حدث.

**النتيجة الثانية:** هي أن هناك فروقاً فردية واضحة من حيث حساسية الأفراد لحاجات الآخرين وسعادتهم وخيرهم - وقد بين سكوارتز Schwartz (1977) في بحثه للمتغير الذي درسه، وهو وعي الآثار والنتائج أو ما يسمى «معرفة لواحق السلوك» مثل هذه الفروق الفردية.

**النتيجة الثالثة:** هي أن القدرة على تكوين استنتاجات حول حاجات الآخرين وما يريدونه، وحول الأفعال التي تؤثر فيهم، هي ظاهرة نمائية تطورية، فالناس يفضلون الوصول لمثل هذه الاستنتاجات عن الآخرين، وقد درس هذا في ضوء المعرفيات الاجتماعية Social Cognition.

النتيجة الرابعة: هي أن المواقف الاجتماعية، يمكنها أن تثير مشاعر قوية، حتى قبل الترميز المعرفي إن هذه المشاعر قد يزداد تنشيطها قبل فهم الموقف، مثلاً شدد هوفمان على دور التعاطف الوجداني في الأخلاق ونظر إلى إثارة هذا التعاطف باعتباره استجابة أولية Primary Response ليست بحاجة إلى توسط العملية الفعلية المعرفية المعقدة. إن هذا يبين لنا كيف تتفاعل الاستجابة الانفعالية الأولية وتتغير مع النمو المعرفي من أجل إحداث أعقد أشكال التعاطف الوجداني.

**المكوّن الثاني:** ويضم تحديد سير الفعل الأخلاقي ومدى تحقيقه للمثل الأخلاقية، وما يجب فعله في الموقف، وهناك بحثان تقليديان يقدمان وصفاً للآليات المتضمنة في هذا المكون.

**البحث الأول:** من علم النفس الاجتماعي، الذي يفترض أن المعايير الاجتماعية، تبين كيف يجب أن يسير الفعل الأخلاقي، إن المعايير الاجتماعية تعمل وفقاً للقاعدة التالية:

«في موقف معين تكون فيه الظروف X، وعلى الشخص أن يفعل Y». إن الأشكال المختلفة للمعايير الاجتماعية تم افتراضها مثل: المسؤولية الاجتماعية، العدالة، والتبادلية، والتضحية. مثلاً، المعيار المتعلق بالمسؤولية الاجتماعية Social Responsibility يصف ما إذا كان الفرد يدرك حاجة شخص آخر إليه واعتماده عليه عندها يجب أن يقدم له المساعدة اللازمة. ولنطبق معيار المسؤولية الاجتماعية في الوضع التالي الذي يمثل حاجة شخص للدواء، وهو المثال الذي طرحه كوهلبرج...: «كان على هانز أن يسرق الدواء، لأن زوجته بحاجة إليه ولا يملك نقوداً لشرائه»، ووفقاً للمعيار الاجتماعي عندما يواجه الشخص بمسألة أخلاقية، فإنه يفسر الموقف أو الوضع، ويركز على بعض مظاهره وظروفه بالنسبة للمعيار الاجتماعي (والموقف أو الظرف هناك هو اعتماد شخص على شخص آخر وحاجته للدواء) إن هذا الظرف يثير المعيار الاجتماعي وينشّطه.

إن نظرية علم النفس الاجتماعي هذه التي تعتمد المعيار الاجتماعي، تشرح كيف يحدد الناس سير سلوكهم الأخلاقي في مختلف المواقف الاجتماعية، ووفقاً لذلك، فإن النمو الأخلاقي هو موضوع لعدد من المعايير الاجتماعية التي تم إثارتها وتنشيطها في مواقف محددة.

**البحث الثاني:** وهو الدراسة التي ركزت على نمو العمليات المعرفية، دراسات جان بياجيه، وكوهلبرج، وعلى العكس من الاتجاه السابق، فإن الاتجاه الحالي أي المعرفي يركز على الفهم المتطور للهدف والوظيفة وطبيعة السلوك الاجتماعي، إنه يشدد على الأساس المنطقي لبناء السلوك الأخلاقي وخاصة أثناء التفاعل الاجتماعي، ففي مواقف التعاون الاجتماعية يتطور وعي الشخص لأشكال التعاون والتدابير المشتركة الممكنة، ووفقاً لذلك فإن الأطفال يصبحون على وعي إدراية بالتعاون القائم بينهم وبين



الآخرين في علاقة مواجهة وجهاً لوجه، ومشاركة وجدانية تعاطفية وبشكل تدريجي يعون أشكال التعاون الطويلة المدى وشبكة العلاقات الاجتماعية العريضة، والأنظمة الاجتماعية. إن الأشكال المختلفة للتعاون (العدالة والاستقامة) تسمى مراحل التفكير الخلقى، ولكل واحدة منها صفاتها الخلقية الخاصة. وحسب مستوى الوعي المعرفي وتطوره أثناء المشاركة والتعاون فإن كل مرحلة تمثل إطاراً أساسياً وعماماً، يحدد ما يجب على الشخص فعله، ولتوضيح ذلك علينا النظر في مراحل النمو الخلقى كما وضعها كوهلبرج Kohlberg:

1 - مستوى ما قبل السلوك الخلقى: ويضم مرحلتين (الأولى والثانية):

الأولى: يسيطر على سلوك الطفل الطاعة، ويخضع للأوامر خوفاً من العقاب.

الثانية: يتجه سلوكه لتحقيق المتعة الذاتية، ويخضع للأوامر حتى ينال المكافأة.

2 - مستوى السلوك الخلقى لإرضاء الآخرين، ويضم مرحلتين (الثالثة والرابعة):

الثالثة: يتجه السلوك إلى تكوين مفهوم مستقر لتكوين علاقة إيجابية مع الآخرين وضمان رضاهم وقبولهم له.

الرابعة: يهدف السلوك الخلقى للحفاظ على السلطات القائمة ومسايرتها (سلطة الوالدين، المدرسين...).

3 - مستوى السلوك الخلقى المعتمد على التقبل الذاتى للمبادئ الأخلاقية، ويضم مرحلتين (الخامسة والسادسة):

الخامسة: المبادئ الخلقية التى تقبلها الذات هي التى توجه السلوك، وفي المقام الأول مبدأ الحقوق الفردية وظل الاتفاقات المشتركة.

السادسة: يسترشد السلوك الخلقى للفرد بما ينبع من الضمير الفردى من مبادئ ويتجنب القيام بسلوك يخالف الضمير أو يعرضه لسخطه.

أما جان بياجيه Piaget، فيضع نظرية في السلوك الخلقى في كتابه المعنون الحكم الخلقى عند الطفل وفيه يبين تشكّل هذا السلوك ونموه عند الطفل: أولاً - استناداً إلى اللعب وتطبيق قواعد اللعب مع الآخرين، وما يتضمنه لاحقاً من احترام الآخر واحترام الجماعة. وثانياً - من خلال التعاون واكتساب فكرة العدل التى يحصل عليها عن طريق المسؤولية الاجتماعية، والعدل الموزع، والمساواة.

إن آراء بياجيه وكوهلبرج، تزودنا بنظرية شاملة للنمو الخلقى، وتعتبر إجابة لنا عن السؤال الثانى (المكون الثانى) من مكونات السلوك الخلقى التى نبحثها. وننتقل الآن إلى المكون الثالث.

المكوّن الثالث: ويضم تقرير أو تحديد، ما يقصد الشخص وما عليه فعله عن طريق الانتقاء بين عدد من القيم المتعارضة نموذجياً، فإن الشخص يعي النتائج والآثار المرتبة

على فعله الأخلاقي وما سيؤول إليه، لأن كل واحدة من هذه الآثار والنتائج يمثل أو يؤدي إلى قيم مختلفة مدفوعة بدوافع مختلفة، وعندما يعي الفرد الاحتمالات المختلفة للسلوك والفعل الأخلاقي في موقف ما، فإن كل واحد منها يقود إلى نتيجة معينة، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا يقوم الشخص باختيار بديل أخلاقي، وخاصة إذا كان ذلك يتطلب تضحية ببعض المزايا الخاصة والاهتمامات الفردية؟ والسؤال هو، ما الذي يدفع للقيام بالسلوك الأخلاقي؟ أو بصيغة أخرى ما هي دوافع الفعل الخلقى؟ هناك عدد كبير من الأجوبة عن هذا التساؤل، تم افتراضها من قبل العديد من علماء النفس، نعرض هنا لبعض النظريات والإجابات في تفسير دوافع السلوك الخلقى.

- يقول ويلسون: Wilson (1975) يتصرف الناس أخلاقياً لأن التطور والنشوء الطبيعي قد أوجد الغيرية في وراثتنا الجينية.

- يقول أرنوفريد Arnofred (1968) وأيزنك Eysenek (1976) بسبب الضمير الموجود فينا، وما يرتبط بالضمير من مشاعر الخجل والذنب، والخوف من الله، فهو كله يدفعنا للسلوك الخلقى.

- يشدد باندورا Bandura في نظريته، على أنه لا توجد دافعية خاصة ومحددة تدفعنا لنكون أو لنسلك أخلاقياً، ولكن الناس يستجيبون ويسلكون وفقاً للتمييز والثواب والاقتداء بالآخرين، إنهم يتعلمون السلوك الأخلاقي الاجتماعي.

- أما بياجيه Piaget فيعتبر أن دوافع السلوك الخلقى هي التفهم الاجتماعي لوظائف التعاون القائم بين الناس وما يؤدي إليه من نتائج.

- أما هوفمان Hoffman (1977) فيعتبر التعاطف الوجداني هو الأساس لكل تضحية ولكل سلوك غيري (الإيثار) Altruism.

ولكن العالم راملس Ramles، يعتبر التجارب والخبرات العملية في الحياة هي التي توجه المجتمعات المختلفة للتعاون والقيام بالأفعال الأخلاقية.

- ويعتبر البعض أن التكامل الذاتي والهوية الذاتية للشخص هي السلطة الأخلاقية الدافعة لكل سلوك أخلاقي.

**المكوّن الرابع:** إن تطبيق أو تنفيذ الفعل الأخلاقي، يتضمن فهم آثار السلوك ونتائج العملية واكتشافها كما أشرنا، ولكن يتضمن أيضاً المثابرة، وتخطي العوائق والصعوبات غير المتوقعة، وكذلك مواجهة حالات الإحباط والتعب، والتبصر المستمر للأهداف وبلوغها، ويعزو بعض علماء النفس لهذه العمليات سمات هي «قوة الأنا» Ego Strength و «تنظيم الذات» Self-Regulation. وقد أشار ميشل عام 1976 إلى الفروق الفردية في قوة الأنا من خلال تأجيل الإشباع Delay of Gratification إضافة إلى الفروق الفردية في مهارات تنظيم الذات، ويشير كريبس Krebs إلى أن المرحلة الرابعة هي «القانون

والنظام» والتي تعبر عن قوة الأنا في المستويات لنظرية كوهلبرج في النمو الخلقي، وهناك عدد من الدراسات التي افترضت قوة الأنا، وقدرة الشخص على حشد ذاته وطاقته باتجاه الفعل الأخلاقي. باختصار إن التصميم والمثابرة والعزيمة وقوة الشخصية أو قوة الأنا، هي صفات رئيسية تميز العمليات الخاصة بالمكون الرابع للسلوك الأخلاقي (أي تطبيقه فعلياً).

## بعض العوامل الموقفية التي تؤثر في كل عملية (مكون) من العمليات الأربع:

هناك عدد من العوامل الموقفية التي تؤثر في العمليات المكونة للسلوك الخلقي وهي التالية:

- 1) العوامل المؤثرة في العملية أو المكون الأول:
  - غموض حاجات الفرد وعدم معرفة الفرد لمقاصده وأهدافه.
  - تشابه المواقف، والاعتياد في الموقف.
  - الزمن المتاح لتفسير الموقف.
  - درجة الخطر الشخصي، ومدى تعرض الفرد للضغط.
  - انشغال مسبق بعمليات أخرى.
  - وجود عناصر عديدة متداخلة في الموقف، مما يصعب على الفرد رؤية الإشارات والقرائن الرئيسية والمهمة.
- 2) العوامل المؤثرة في العملية الثانية:
  - عوامل تؤثر في تطبيق معايير اجتماعية محددة أو مثل أخلاقية معينة.
  - تفويض المسؤولية لشخص آخر.
  - شروط مسبقة، وتوقعات تؤثر في تحمل المسؤولية، وتبادل الامتيازات.
  - تداخل العديد من المسائل الأخلاقية واختلاطها مع بعض.
- 3) العوامل المؤثرة في العملية أو المكون الثالث:
  - وجود عوامل تثير دوافع أخرى مختلفة عن الدوافع الأخلاقية.
  - الحالة المزاجية التي تؤثر في اتخاذ القرار.
  - عوامل مؤثرة في تقييم الآثار والنتائج.
  - عوامل تؤثر في تقدير الذات أو رفض الحاجة والاستحقاق.
- 4) العوامل المؤثرة في المكون الرابع:
  - عوامل جسمية تمنع الشخص من إنجاز خطة السلوك الخلقي والقيام به.

- التعب، والقرف عند الشخص.
- التغيرات المعرفية المتعلقة بالهدف.
- صعوبات ناتجة عن تدبير أو فعل أكثر من سلوك أخلاقي واحد في الوقت نفسه.

## الخلاصة

إن السلوك الخلقي يتضمن أربع عمليات مكونة، وأن الخلل في واحدة منها يحدث فشلاً أو عجزاً عن التصرف الأخلاقي، فإذا كان الشخص غير حساس، أو ليس لديه مشاعر تجاه حاجات الآخرين وعواطفهم (قصور في التعاطف الوجداني عنده) أو كان الموقف نفسه غامضاً بحيث يصعب على الشخص تفسيره، فإنه سيفشل في التصرف الأخلاقي (وهذا فشل في المكون، والعمليّة الأولى). وقد يعجز الشخص عن تشكيل السلوك وعنده ضعف في التفكير أو الاستدلال العقلي (العجز هنا في المكون الثاني)، كما أن القيم الأخلاقية متداخلة مع قيم أخرى (عجز في المكون الثالث) وقد يقرر الشخص القيام بالفعل الأخلاقي ولكنه عجز عن رؤية الهدف أو تبصر النتائج (المكون الرابع). إن النمو الخلقي يتضمن تكامل هذه العمليات الأربع المكونة للسلوك الأخلاقي فإذا تحقق هذا التكامل فإن هدف التربية الأخلاقية، يتوجه نحو تحسين النمو ودفعه نحو هذه الوظائف الأربع للعمليات جميعها، فكما أن الشخصية السوية تتصف بتكامل مكوناتها ومحدداتها الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية، كذلك الأمر بالنسبة للسلوك الأخلاقي الذي يتطلب تكامل مكوناته وعملياته الأربع التي شرحناها.

## المراجع:

- (1) Arnofred (1968): **Conduct and conscience**, New York, Academic press.
- (2) Barret (1977): **Prosocial behavior child development** (48).
- (3) Bandura (1986): **Social Foundation of thought**, New Jersey, Prentice-Hall.
- (4) Eysenck (1976): **The Biology of Morality**, New York.
- (5) Hoppmon (1977): **Empathy, Its development and Implication**, University Press.
- (6) Izard and Other (1984): **Emotions, Cognition and behavior**, Cambridge press.
- (7) Kohlberg (1976): **Moral stages and Moralization**, New York, Holt.
- (8) Schartzs (1977): **Normative Influences on altruism**, New York, Academic press.
- (9) Staub E. (1978): **Positive social behavior and morality**, New York, Academic press.
- (10) Wilson E. (1977): **Sociobiology, The New Synthesis**, Cambridge Mass Belknap press.
- (11) جان بياجيه: الحكم الخلقي عند الأطفال، ترجمة محمد حربي، مكتب مصر، 1956.